

مبدأ الكرامة الإنسانية في الأخلاقيات التطبيقية

مداسي مريم وفاء^(١)

تقديم:

أخذ موضوع الإنسان مجالا واسعا في التفكير الفلسفي، عبر مراحلها المتأخرة والمتقدمة من تاريخ الفلسفة، محاولا في ذلك البحث عن المبادئ الأساسية التي يمكننا من خلالها أن نؤطر إلى فلسفة إيتيكية تشغل الفكر الراهن، فالإنسان اليوم وما يشهده العالم المعاصر من أزمات على المستوى الأخلاقي ما هو إلا نتاج نهضة فكرية بأسس انعدمت فيها مجانية الإيتيكا في الحوارات التقنية التي أصبحت تمس الإنسان بشكل مباشر.

فقد أصبح الخطاب الإيتيقي اليوم يتحدث عن مسائل معاصرة لم يعرفها الطب قديما، كمسألة إطالة العمر البشري، والتحدث عن الاستنساخ والموت الرحيم، وغيرها من المواضيع الشائكة التي غيرت من ماهية الإنسان الذي كان يعرف في الفلسفات اليونانية والإسلامية على أنه ذلك المثال الأعلى والأرقى الذي لا يمكن التلاعب به ولا سيما أنه يتصف بخصوصية تمنع عنه ذلك الجانب التقني، إلا أن الخطاب الذي عرفته الساحة لفكرية اليوم هو عودة قوية لتأسيس جانب إيتيقي لهذه الهوية التي أصبحت تعيش حالة إغتراب مع ذاتها ومع الآخر.

فقد تعددت المفاهيم الإنسانية التي ترتبط بالإنسان الذي أصبح يعيش في نزاع بينه وبين جسده ووجوده أو أكثر من هذا أصبح يحاول البحث عن حلول للكثير من المشاكل الأخلاقية التي أصبحت جزء من حياته، كل هذا أنتج مشكلة أخلاقية بالنسبة له كإنسان يبحث عن إنسانيته، وكفرد يبحث عن معايير عملية تكون بمثابة القاعدة الأساسية التي يلجأ إليها في الحاجة، ومن بين هذه المفاهيم التي أصبحت مفقودة في خطابتنا اليومية والممارسة العملية سواء في المستشفيات أو حتى في المؤسسات بشتى تخصصاتها.

*- باحثة بجامعة د.مولاوي الطاهر، سعيدة.

وكذلك نجد أن مبدأ الكرامة الانسانية أقل ما يمكن القول عنه هو مفهوم تهوى في ظل هذه التغيرات الحياتية وهذا ما أعطى تصوراً جديداً للحياة، ولكون المهتمين بهذا المجال حاولوا من خلال الكثير من الخطابات وحتى الكتابات أو إنشاء جمعيات تحاول التدخل لتحسين من حياة الأفراد ولكن من خلال التمسك بكرامة هذا الأخير، وهذا يدخل في دائرة تحسين حياة الفرد مع التدخل التقني في المجالات كلها بشرط المحافظة على كرامة الأفراد، إذ وجدت الكثير من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية التي تحاول صيانة هذا الانسان والمحافظة عليه لعدّها أنه الوعاء الأساس الذي تنمو فيه الذات الانسانية وتحاول من خلاله البحث عن إنسانيتها التي يمكن القول إنها ضائعة في ظل الايديولوجيات والتقنيات الطبية والبيئية وغيرها وهذا كله نجده يبحث عن تأسيس ايتقي لمبدأ الكرامة الانسانية في حياة الانسان.

انطلاقاً من هذا الطرح نتساءل حول: مكانة هذا الانسان في الفلسفات المعاصرة؟ وكيف أصبح يعيش هذا الانسان مع قيم كانت في السابق لصيقة بالطابع البشري من كرامة واحترام وحق؟ وغيرها من المفاهيم التي طالما دافع عنها الانسان من خلال اقامته للكثير من المواثيق الدولية التي جاءت تدافع عن تلك الحقوق، وكيف يمكن أن ننظر لأخلاق معاصرة في ظل التقنيات التكنولوجية؟ وهل يمكن استحداث إنسان معاصر في ظل تقنيات معاصرة؟ وهل هذه التقنيات تشكل خطر على الهوية الانسانية؟ أم أنها تقنية تساعد في تفاعله مع ما هو كائن في الساحة العلمية اليوم سواء طبية أو حياتية؟ للإجابة على هذه الإشكالية قسمنا بحثنا إلى ثلاث نقاط أساسية في البحث:

أولاً : مفاهيم أساسية (الكرامة، الإنسان، الحق).

ثانياً : الحاجة إلى أخلاقيات جديدة.

ثالثاً : إنسانية الإنسان في ظل حفظ كرامته.

رابعاً : احترام كرامة الانسان في ظل حقوق الانسان.

ومن بين الدوافع التي اخترنا فيها هذا الموضوع تكمن في راهنتيه في المجال البيوايثقي، كون الأخلاق التطبيقية اليوم أصبحت تتادي بمبادئ إنسانية نظرا لما أصبح يعيشه الإنسان في إتلاف إنسانيته داخل الحقل العلمي.

وحتى نتمكن من معالجة هذا الموضوع، لجأنا إلي توظيف المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل النصوص التي تقرر بمبدأ كرامة الإنسان في الحوار البيوايثقي، ومجال الأخلاق التطبيقية.

أولا : مفاهيم أساسية:

1/ مفهوم الإنسان:

لقد عني التفكير الانساني بالانسان على المدى البعيد نظرا لما يشغله من تفكير فلسفي في الكثير من المجالات، فالانسان هو ذلك الجسد والروح مثلما عبرت عنه الفلسفة اليونانية، أو كما عرفه أصحاب الفلسفة السفسطائية، ومن بينهم **بروتغوراس** الذي قال: إنَّ الانسان مقياس كل شيء، وهنا نؤكد على أنَّ الفلسفة **السقراطية** قد أنزلت التفكير في الانسان من السماء إلي الأرض؛ لأنَّ الشغل الشاغل في التفكير الفلسفي ما قبل السفسطائي كان يهتم بأصل الكون يعني الميتافيزيقا بكل ظواهرها، وما تقدمه من خلال أصل الكون والوجود، حتى جاءت الفلسفة السفسطائية وقبلت جميع المفاهيم وجعلت الانسان أصل القاعدة الأساسية للأشياء¹.

الرغم من أنَّ هذا التعريف قد لاقى رفضا شديدا ولاسيما من طرف **أفلاطون** والكثير من الفلاسفة اليونانيين معتمدين في رفضهم على أنَّ الانسان ليس مقياس كل شيء بل الانسان يبقي فردا غالبا على الدولة وغايته الأساس هي تحقيق مصالح هذه الدولة داخل اطار قانوني.

1- أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، تر: تروين اسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة (ب، ط)، 1966، ص 28.

2/ مفهوم الكرامة:

تترجم باللاتينية إلى *dignitas* ويقصد بها "في المعجم الاجتماعي السماحة"¹، وإذا ترجمنا هذه الكلمة في المعجم الوسيط نجدها تعني "الكرم والسخاء"²، فالمقصود منها أن تجمع الإنسان والآخر علاقات إنسانية تكون أساسها الكرم المؤاخاة، فهذا فعل إيجابي لتطور الأمم ؛ لأنَّ الإنسان هو النواة الأساسية في هذه الحياة.

إنَّ تعارض القوانين الإلهية في التنظير الاجتماعي هو ما يعكس إخلاف الفهم الأخلاقي للكرامة الإنسانية، فالمجتمعات البدائية كانت أقلَّ تهيباً لكرامة الإنسان، مثلها مثل المجتمعات التي تعيش الطبقة³، إذ نجدها تلغي جانباً من هذه الكرامة داخل الحقل الإنساني بدعوة أنه أقلَّ انتماء. فنجد على سبيل المثال المجتمع الإقطاعي ونظرته للإنسان تختلف عن المجتمع الرأسمالي وعودته الفعلية لاهتمامه بالفرد كعنصر أساس.

أمَّا بالنسبة للمعجم الأخلاقي (فقد أوضح) "أنَّها من السمات الأساسية للقول إنَّ هذا إنسان إنساني، وذلك من حيث إنَّ هذه الكرامة تقدم له قيمته التي تظل نسبية، ولكن تبقى صفة جوهرية فيه لأنَّ الإنسان كما يقول كانط kant لا ينبغي أبداً أن نعامل الشخص على ما ينبغي أن يكون بل على ما هو كائن"⁴، وهذاما يحيلنا إلى التعامل مع الشخص على أنه غاية لا وسيلة لتأدية مصالحنا، فإذا تعاملنا معه من هذا المنطلق كنا قد نفينا عنه كرامته، فجوهر الإنسان يحمل مبادئ أخلاقية تؤسس لما ينبغي أن يكون وليس لما هو كائن، وهذه هي الحاجة الأساسية لمواصلة وتيرة الحياة.

أمَّا إذا ولجنا في المعجم الفلسفي فنجد الكرامة المقصود منها "أنَّها الحالة التي يبحث عنها الإنسان ليعيش عظمته، وهي مرتبطة بطبيعته الروحية"⁵، وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في أنَّ الكرامة الإنسانية نابعة من

2-NoellaBaraquin et outre ,Dictionnaire de philosophie,2edition,armand colin paris,2000,p84.

1- المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص65

2- Dictionnaire philosophique ,editions du progres,moscou ;1985 ;p138

3- Noella Baraquin et outre ,Dictionnaire de philosophie,ibde, p84

4- Noella Baraquin et outre ,Dictionnaire de philosophie,ibde,pp 84/87

الذات الانسانية، ولذلك عندما نمس بالانسان في ذاته أو جسده أو حتى في فكره نكون هنا قد مسسنا بكرامته، لكونها تشغل حياة الانسان لأنه كائن يؤثر ويتأثر، ومن هذا الباب نجد أن الانسان يحاول أن يصوغ لنفسه قالباً إيتيقاً تحكمه الكثير من المواثيق الدولية، والحقوقية لتدافع عن حقه في أن يعيش كريماً، وهذا ما نادى به الكثير من الديانات؛ لكونها جاءت ترسخ هذا المبدأ في ظل التغيرات التي عرفها الانسان في حياته.

ثانياً: الحاجة إلى أخلاقيات جديدة:

لقد أصبحنا في مجتمعاتنا كثيراً ما نتحدث عن الإيتيقا بشكل كبير متوجهين في ذلك بتأسيس قاعدة قيمية تحكم الأفراد وسلوكياتهم داخل المجتمعات التي من خلالها نطمح لخلق أفراد يحترمون بعضهم ويحافظون على كرامتهم وكرامة غيرهم، فمن بين مقتضيات الحاجات الملحة للبشرية اليوم هو إيجاد مبادئ تكسوها فعلاً إيتيقاً، فالسؤال الذي يجب أن نطرحه اليوم هو هل نحن نتوافق مع مقتضيات الحياة في ترسيخ مبدأ الاحترام وحفظ الكرامة الانسانية؟ وأكثر من ذلك يجب البحث عن ما إذا كانت أعمالنا تتصف بالانسانية، يعني هل هي أعمال حياتية تُعنى بكل ما هو انساني حياتي؟

ولأن القيم تتضمن أفعالا نسبية بين ما هو موجود في الواقع، وما يحاول الفلاسفة وأعمدة الفكر التأسيس له من خلال التأكيد على المفاهيم الانسانية داخل الأمم، فهنا نجد الانسان المعاصر نفسه داخل دوامة شائكة من الارتجاجات التي لا تتبع من منطلق إيتيقي بلهي منطلقات تشكيكية حتى في أهم المبادئ الانسانية، وفي كل ذلك نجد أن المشتغلين بالفكر الانساني القيمي يبحثون دائماً عن تأسيس إيتيقي في حدود ما يسمى بالخير والشر، في دائرة البحث الفرد الإيتيقي يعني الأكثر انسانية في مجتمعات أصبحت التقنية تتحكم فيها وبشكل كبير حيث أصبحنا نشاهد مردودية هذه التقنية حتى في الجسد البشري الذي أصبح عرضة للخطر بسبب الكثير من التجارب التي أصبح الفرد هو العامل الأساس فيها، إذ يمكن تسمية هذه الظاهرة بالإنسان القاتل والطامس لهوية الانسان من خلال تذليله باستعمال

أدوات تقنية تقلل من شأن هذا الأخير، وكل هذا مدعاة لتفكير داخل الحقل البيوايثيقا.

1/ من الأخلاق إلى الإيتيقا:

الاييتيقا¹ *Ethique*: في اللغة الانجليزية *Ethics* إيثيكس، وإيثيك في الفرنسية وهي من *Ethicos* إيثيكوس المشتقة من إيتوس اليونانية *Ethos* ومعناه العادة والاعتقاد، ومن أسمائه القديمة الفلسفة الأدبية أو العلم الأدبي وقولك الادبي ترجمة *Moral* المستمدة من كلمة مورس *Mores* اللاتينية ومعناها الأساليب السلوكية والأخلاق والآداب العقلية²، فلا يمكن للحياة أن تسير بدون قواعد سلوكية.

فالأخلاق هنا تقول كلمتها في بحثها عن القواعد وعن التطبيق الواسع للصفات الأخلاقية التي تحكم الفرد مع مجتمعات أخرى كل هذا مدعاة للحفاظ على كرامة الأفراد وصيانة كرامتهم، فالاييتيقا في تأسيسها المفهومية هي مفردة من مفردات الأخلاق لأن الأخلاق مصطلح شامل يُعنى بقواعد تسيير الحياة ولذلك كان التفكير الفلسفي يهتم كثيرا بمبحث الأخلاق منذ القديم وهذا ما نلاحظه في فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة الذين أكدوا على البحث عن كيفية خلق انسان أخلاقي³.

ف نجد على سبيل المثال سقراط ينظر للأخلاق من خلال تضاربه الفكري مع السوفسطائيين في تربيته لشباب المدينة ونشر أخلاق حميدة فيما بينهم، وتعد نظريته الأخلاقية بمثابة إرهابات فكرية متناثرة في شكل شعر يسمى بشعر الحكمة فقد كان اهتمامه جليا وواضحا بالسلوك الانساني، وكيفية ترويضه ليصبح فعلا أخلاقيا راقيا⁴.

فعندما نبحث في الأساس الأخلاقي حول ما يجب أن يكون وكأننا نؤسس لاييتيقا معاصرة تحاول أن تأخذ من الفعل الأخلاقي غاية لها لا

1- Gilbert hottois et jean-noelmissa ,nouvelleencyclopédie de bioethique , deboeck universite,p391

2- يدني،أصول الأخلاق،تر: إبراهيم وجدي،كلمات عربية للترجمة والنشر،مصر،ص 10

3- بشير المؤدب ، الاتيقا مفارقات وتأويلات ،المغربية للطباعة والنشر،ط1،تونس،2013،ص11.

4- توفيق الطويل،الفلسفة الخلقية : نشأتها وتطورها،دار النهضة العربية، 1967،ص 21

وسيلة في بحثها عن سلوكيات تعصم الفرد من الوقوع في الزلل، فكما يقال هذا فعل أخلاقي *Moral* وفعل لا أخلاقي *Immoral* فهناك فرق بين النظرتين فالفعل الأخلاقي هو الذي يحاول تأسيس أخلاق على أساس الحكمة، أما الثاني فهو ما نجده يعبر عن ذلك ما وُصف به "سلوك الحيوان فهو سلوك محايد لا يوصف بالأخلاقي"¹، فقد سعى الإنسان في البحث عن الخير الأسمى كما قال أفلاطون، يعني العلوم التي تهتم بالإنسان من ناحيتي الخير والشر، وهذا كان قبل تأسيس فكر أخلاقي بقواعده ومبادئه وقيمه التي نراه اليوم في الساحة الفكرية، والتي أصبحت رائجة في جميع النواحي لغرض التحكم في شروط الفعل الأخلاقي وتصويبه نحو الخير الدائم وهذا ما يظهر اهتمام الفلاسفة والمفكرين بالإنسان ومحاولاتهم في الإسهام لبعث أفراد يكونون ذوي مناعات عن الكثير من التجارب التي أصبح العلم المعاصر يشهدها على الظواهر الانسانية، مثلما سنتطرق إليها في النقاط القادمة.

وقد قسم المشتغلون بالحقل البيوايثيقي الاشتغال الفلسفي الايثيقي إلى ثلاثة تيارات كبرى في المحور البارز اليوم على الساحة الفلسفية،(وهي)²:

- الاتيقا ومجالها الطبي العيادي.

- الاتيقا ومجالها الفلسفي.

- الاتيقا ومجالها النيولوجي.

ففي التعريف الفلسفي بين الايثيقي والأخلاقي هناك علاقة بينهما لا يمكن فصلها، وتوطدت هذه العلاقة في البيوايثيكا ومجالاتها التي من اهتماماتها هو أن تخلق الحياة لجميع مجالات الأفراد، ولذلك نجد(أن) "تعريف الأخلاق هو الذي يحمل في طياته العلوم التي تُعنى بما هو حسن، والقبح في أفعال الأشخاص، أما في ما يخص الايثيكا فهو ذلك المجال الذي يهتم بالمجال الأخلاقي في مجاله الانساني"³،(ممّا تقدم)يمكننا(أن)نتوصل

1- المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 52

2- Guy Durand ; introduction generale a la bioethique ; bibliotheque nationale du quebec ;2005 ; p21

3- Pierre Fortin , la morale l'éthique , sainte-Foy Presses de L'Université de Quebec ,1995,p 38-49

لنتيجة مفادها أنَّ الأخلاق الكلاسيكية كانت بمثابة أخلاق تتعامل مع معايير وقواعد، وفضلاً عن ذلك يمكن القول فيها أنَّها تتعامل مع ما هو كائن. أمَّا الأخلاق في المرحلة المعاصرة اليوم فقد أصبحت تبحث عمّا يجب أن يكون، في سبيل أخلاق جديدة تدرك الوضع الانساني الراهن مثلما يقدمه هانس يونس* في كتابه مبدأ المسؤولية بنقد الأخلاق الكلاسيكية ذلك أنَّها قاصرة عن استيعاب حال الكائن داخل لعبة التكنولوجيا ورهاناتها المقوضة للوجود الإنساني.

ثالثاً: إنسانية الانسان في ظل حفظ كرامته:

يعد مفهوم الكرامة الانسانية من بين المفاهيم التي أصبحت مفقودة في خطابتنا اليومية والممارسة العملية سواء في المستشفيات¹ أو حتى في المؤسسات بشتي تخصصاتها وغيرها، ونجد أنَّ مبدأ الكرامة الانسانية أقل ما يمكن القول عنه هو مفهوم تهاوى في ظل هذه التغيرات الحياتية وهذا ما أعطى تصوراً جديداً للحياة، ولكون المهتمين بهذا المجال حاولوا من خلال الكثير من الخطابات وحتى الكتابات أو إنشاء جمعيات تحاول التدخل لتحسين من حياة الأفراد، لكن من خلال التمسك بكرامة هذا الأخير، يدخل في دائرة تحسين حياة الفرد مع التدخل التقني في كل المجالات بشرط المحافظة على كرامة الأفراد، إذ وجدت الكثير من المؤسسات الحكومية وغير حكومية التي تحاول صيانة هذا الانسان والمحافظة عليها لأنها الوعاء الأساس الذي تنمو فيه الذات الإنسانية وتحاول من خلاله البحث عن إنسانيتها التي يمكن القول عنها إنها ضائعة في ظل الايديولوجيات والتقنيات الطبية والبيئية وغيرها ومن هذا كله نجده يبحث عن تأسيسايتيقي لمبدأ الكرامة الانسانية.

إذا كانت التقنية في علاقة بالانتاج الجسد البشري سيفقد مقوماته الإنسانية كالقيمة والكرامة والحرمة² هذا ما أكد عليه الكثير من الفلاسفة المعاصرين نظراً لما آلت إليه كرامة الانسان كقيمة خلقية، تظهر من خلال

1- Guy durand, introduction generale a la bioethique ,ibde,pp 396/397

2- سمية بيدوح، فلسفة الجسد، مرجع سابق، ص8

الجسد البشري في معاملاته للأخر ولنفسه، كوسيلة لا كغاية، وهذا ما خلف الكثير من الآثار التي بقت تبحث عن تفعيل إيجابي للحياة الإنسانية، فالتقنية ظلت محورا أساساً في الخطابات الأخلاقية في الفلسفة اليومية نظراً لأنها تتدخل في جميع المجالات الحيوية للإنسان، وتؤثر فيه بشكل من الأشكال.

رابعاً: احترام كرامة الإنسان في ظل حقوق الإنسان:

لاشك أننا اليوم نعيش أزمة خانقة في ظل هذه الارتجاجات المنافية لمفهوم الإنسان، أو التي أصبحت تنتظر للإنسان كنظرة ثانوية لكونه لم يصبح هو الأساس في الفكر الفلسفي اليوم، وهذا نظراً لما يتعرض له هذا الإنسان من تجريب ومحاولة جعله كالمادة الجامدة التي لا تملك أي قدرة أو حق للتعبير عن ذاتها.

ولذلك نجد أن مفهوم الحق في الخطاب المعاصر أخذ منحى آخر من خلال الظروف التي شهدتها العالم التي تتضمن تلك السلبية في الخطاب والمعاملة، وهذا ما جعل الإنسان يفكر في ذاته كونه إنسان ولديه حق طبيعي للحفاظ على ذاته كما يقول جون لوك: "حق الحفاظ على الممتلكات الحياة"¹، فمفهوم الحق اختلف حسب منظور كل فيلسوف ووجهة رأيه في الجانب الحقوقي للإنسان. فما هي الأسس التي انبثقت عليها فكرة حقوق الإنسان؟ وكيف ساهم التفكير الفلسفي في تطوير هذا المبدأ؟ وأين يكمن الجانب الاليتيقي في الاعلان العالمي لحقوق الإنسان.

1/ مفهوم الحق:

أ / المدلول اللغوي:

الحق في معجم لالاند "ما هو حق صحيح لا سيما بالمعنى كنت أرغب دوما رغبة شديدة في تفريق الصحيح من الباطل، لأرى أفعالي بوضوح ولأمشي في هذه الحياة على يقين"²، لأن معرفة الحق ستحدد لنا أهم السمات الأخلاقية لكون الحق هو الباعث القيمي ولذلك نجده من أهم مباحث الأكسيولوجيا، فمفهوم الحق والباطل هما مفهومان لا يلتقيان أبداً لا

1- جونلوك، الحكومة المدنية، ص 256

2- موسوعة لالاند الفلسفية، ص 1571

في العقل البشري ولا حتى الجانب الأخلاقي في الحياة لأنهما لا يعبران عن موقف واحد، بل لكل مفهوم مجاله الخاص، فإذا كان الحق موجود، بالضرورة سيغيب الباطل والعكس صحيح.

فالحق هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على العقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتغالها على ذلك، ويقابله الباطل، أما الصدق فقد شاع في الاستعمال ويقابله الكذب¹.

ب/ المدول الإصطلاحي:

الحق هو من بين القيم الثلاث التي يتألف منها العالم "الحق، الخير، الجمال"²، فمبحث القيم يتأسس على جانب أكسيولوجيا فيعرف المثاليين الحق على أنه صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال، ثم يصبح الحكم بصواب القول أو خطئه ثابتة لا يتغير، أما بالنسبة للطبيعيين صفة يضيفها العقل إلى الأقوال طبقاً للظروف المتغيرة، فهنا الحق نجده يختلف بحسب الهيئة التي تصدر هذا الحكم.

"ويرى أفلاطون أن الحق هو السبيل لتحقيق العدالة"³، وفي هذا الإطار تكمن الحقوق وتتحقق العدالة التي وضعها أفلاطون في مدينته واسس لها على الكثير من الاعتبارات، "وقد عرض هوبز الحقوق التي يخرج الإنسان بواسطتها من حالة الطبيعة إلى بناء الدولة، علينا أولاً أن نفرق بين ما يسميه بالحق الطبيعي والقانون الطبيعي" فقد تمثل الحق الطبيعي عند هوبز من خلال ضمان حرية الأفراد غير المحدودة لجميع الأفراد ولحماية حياتهم، والدفاع عن أساس وجودهم.

أما بالنسبة لسبينوزا فقد عرفه بأنه "حق الفرد الطبيعي والمدني وحق الحاكم ومن ثم فالقانون والحق يختلفان اختلافاً كبيراً مثلما يختلف الالتزام عن الحرية، حيث إنهما لا يلتقيان لأن الحق تعبير عن نشاط بشري

1- التهنائي محمد على، موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص682.

2- ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص80.

3- عبدالسلام بنعبد العالي، دفاتر فلسفية، حقوق الإنسان، الاسكندرية دارتوبوقال للنشر، بس، ص

بصفة عامة في حين أن القانون هو الذي يتصف بصفة الالتزام في هذا لنشاط¹.

قدم علال الفاسي وجهة نظره في الحق كونه "حرية التفكير"²، فمن خلال وجهة نظره هذه أراد أن يبرز أن حق الانسان يكمن من خلال ممارسته للتفكير بدون قيد أو قمع، بل له كل الصلاحية للممارسة تفكيره حتى وإن عارض به وجهة نظر أخرى .

2/ فلسفة الأنوار وفكرة حقوق الإنسان:

تميز الفكر الأنوار بتمجيد العقل الإنساني كنزعة جديدة يحاول الفكر الفلسفي من خلالها أن يخرج من تلك العصور الوسطى التي كانت تسيطر فيها الكنيسة على الانسان وتقيّد جميع حرياته سواء كانت فكرية أو سياسية، وحتى العلمية فقد "كان للفكر الفلسفي الأنوار أثر واضح في نشأة الفكر البيوايتيقي وتبلوره، ويتجلى ذلك فيما تميز به ذلك الفكر من إعلاء لقيمة العقل كوسيلة فعالة للبحث والاستكشاف من جهة ولحل مشاكل الإنسانية من جهة ثانية"³.

لقد اهتم الانسان كثيرا بجانبه القيمي من حقوق وحريات وكرامة، لكون هذا الانسان يعيش في تهميش ونزاعات أدت به إلى الوحدةانية، ولاسيما ما شهده العالم من تأزم في الوضع السياسي من خلال الحربين العالميتين، ولذلك نشأت الكثير من الجمعيات الخيرية والمؤسسات العالمية التي جاءت مناهضة للتعبير عن حقوق هذا الانسان محاولة أن تخلق له جواً من الأمل في العيش الكريم من خلال حفظ كرامته، والابقاء على خصوصيته التي يتميز بها عن سائر المخلوقات، ونجد من بين هذه المواثيق الدولية التي ساهمت في بناء هذا الانسان المتحضر فكرا واجتماعيا ميثاق الأمم المتحدة.

1- امام عبد الفتاح امام، هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985، صص 234

2- علال الفاسي، مجلة أصل، الدار البيضاء، العدد 4، 1966، صص 139

3- عمر بوفتاس، الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، افريقيا الشرق، المغرب، 2005، صص 36/35

فقد رفع الفكر الأنثوري شعار الحرية وفكرة حقوق الإنسان وشعارات أخرى مناهضة للفكر الانساني من حرية وكرامة والبحث عن ذلك الآخر الذي يمثل صورة الذات الانسانية، فإنّ الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان سنة 1948م، يعد الميلاد الفعلي لحقوق الإنسان، فحقوق الإنسان هي التي تضم مجموعة حقوق يتمتع بها الإنسان لكونه يتمتع بإنسانية مفرطة ولذلك يبحث عن اطار حقوقي يؤسس فيه لمشروع ايتيقي لترسيخ مفهوم حقوق الانسان.

لقد حاول الفكر المعاصر اليوم أن يناهض الفلسفات جميعها التي تحط من شأن الانسان وتجعل منه غاية لتحقيق مصالحها ، وهذا ما أدى إلى ظهور هذا الميثاق المتمثل في الاعلان العالمي لحقوق الانسان، الذي جاء متزامناً مع بعض الظروف التعسفية التي كان يعيشها العالم وكان الإنسان فيها يخضع لبعض الحتميات التي تفقده انسانيته، وهذا ما أدى بهذا الاعلان العالمي الاقرار على مجموعة من البنود التي رأي أنها تمثل أساس الأمم لمواصلة حياة كريمة.

فمن بين بنود هذا المشروع وهو البند الأول الذي يقر عليه العالم: المادة 01 يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق، وهم وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح وإخاء¹. فإذا اردنا أن نحلل هذا المبدأ بصيغة ايتيقيه نجد أن (المبدأ) مبني أساساً على ثلاثة أشياء مهمة وهي: الحرية، الحق، الكرامة، فبما أنّ الناس ولدوا متساوون يجب أن نبقى على هذا الحق الطبيعي الذي لا يمكن أن يكون إلّا ذلك.

3/ كانت فيلسوف الحياة:

إنّ المتتبع للفلسفة الألمانية ولاسيما الفلسفة الكانطية الايتيقيه، يجدها تميز بين شيئين أساسيين هما²:

1- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اعتمد ونشر على الملأ بقرار الجمعية العامة، المؤرخ في 10 ديسمبر 1948.

2- Guy durand, introduction generale a la bioethique, ibde, p398

- إنَّ الحياة الانسانية الأشياء التي لديها الثمن يعني التي يمكن أن نضع لها معايير، أو يمكننا أن نعوضها بأشياء تعادلها هذه لا يمكن أن تدخل داخل دائرة القيم الانسانية.

- أما الشيء الوحيد الذي ليس لديه ثمن، أو شيء يعادله فهي الكرامة الانسانية.

إذا نلاحظ أنَّ الكرامة الانسانية يمكن أن تتقارب مع احترام الآخر أو القيام بالخير ولكن يبقى مفهوم الكرامة الانسانية هو ذلك المجال الذي لا يمكن أن نعوضه بقيمة أخرى تشبهه.

نتائج البحث:

لقد تعددت الديانات والثقافات المنادية بكرامة وحقوق الانسان في الخطاب البيوايثقي، نظرا لما اصبحت التقنية اليوم تتحكم في حياة الانسان، فعندما نصون للانسان جسده هنا نكون قد حافظنا على كرامته، مثلها مثل أن نحافظ علي ذاته، فالكرامة المقصود منها أن نعطي للانسان قدره وقيمه مع إدراج حريته في الحياة، وأن نكون واعين بهذا القدر الكافي لصيانة حياته الانسانية من الاختلالات جميعا.

ومقولة حقوق الانسان تحمل في طياتها كثيراً من المعاني الانسانية، نجد أنَّ لهذا المفهوم مجالاً بعيداً منذ الوجود الانساني، كونه يبحث عن حقوقه التي يضمن من خلالها مصالحه كإنسان ويتصف من خلالها بإنسانيته الضائعة.

يعتبر موضوع الكرامة الانسانية الذي نادى به العديد من الفلاسفات ثم الديانات بكل اختلافاتها ومعتقداتها، والمذاهب التي أثرت في وجهة تفكير الكثير من الفلاسفة، الذين تبنا النزعة الانسانية وأصبحوا من بين المناهضين لحقوق الانسان، كلهم أكدوا على ترسيخ مبدأ الكرامة الانسانية في حياة الانسان وهذا ما سارت نحوه الأخلاقيات التطبيقية اليوم بما يسمى الحوار الايثقي.

ظهر الكثير من المواثيق الدولية والاعلانات العالمية التي تدافع عن هذا الانسان وتحاول أن تجعل منه يعيش في اطار حقوقي محفوظ الحريات

والكرامات، وهذا ما نتج عن التحولات الفكرية التي حدثت في تاريخ الفكر البشري وآخرها العصور التي عاشتها أوروبا من ظلام وتحكم الكنيسة في زمام الأمور وقمع حريات الآخرين، حتى وصلت إلي مرحلة النهضة أو ماتسمى بعصر الأنوار التي تتور العقل فيها وخرج عن ذلك قالب الإنسانى ونجد ثلة من الفلاسفة الذين ساهموا في بناء هذا الفكر الجديد من خلال كتاباتهم ونزعاتهم الانسانية.

نصل إلى نتيجة مفادها أن الكرامة الانسانية تمثل تلك القيمة الانسانية للذات في حد ذاتها، كقيمة متجذرة في الفرد بغض النظر عن جنسه ولونه...، فالإنسان بمجرد أنه أصبح فردا في المجتمع المحافظة على كرامته من خلال منحه جميع الظروف الملائمة لمواصلة حياته على أكمل أوجهها وذلك من خلال احترام كينونته وذاته التي تشكل مصدر وعيه.

المعاجم والموسوعات:

- 1- اندريه لالاند، تر: خليل أحمد خليل، موسوعة فلسفية ، مجلد 1 ، ط2 منشورات عويدات، بيروت، 2001.
- 2- ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربي ة، القاهرة، 2000.
- 3- المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية، مصر ، 2004.

قائمة المراجع بالعربية:

- 4- أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، تر: ترلوين اسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، 1966
- 5- امام عبدالفتاح امام، هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985.
- 6- التهنأوي محمد على، موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم، ج1، (ب ب)، (ب س).
- 7- بشير المؤدب، الاتيقا مفارقات وتأويلات ،المغربية للطباعة والنشر، ط1، تونس، 2013
- 8- توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية: نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، مصر، 1967.

- 9- سمية بيدوح ، **فلسفة الجسد**، دار التنوير للطباعة والنشر،تونس ،2009
- 10- عبد السلام بنعبد العالي، **دقاتر فلسفية حقوق الانسان**، الاسكندرية دارتوبقال للنشر والتوزيع،(ب س).
- 11- عمر بوفتاس، **الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا**، افريقيا الشرق، المغرب،2005.
- 12- علال الفاسي، **مجلة أصل**،الدار البيضاء،العدد 4،المغرب ،(ب س)
- 13- يدني، **أصول الأخلاق**، تر: إبراهيم وجدي، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر.(ب س).

قائمة المراجع بالفرنسية:

- 14- Fortin ,**la morale l'éthique** , sainte-Foy Presses de L'Université de Quebec, 1995.
- 15- Noëlla Baraquin et outre ,**Dictionnaire de philosophie**, 2edition, armand colin paris, 2000
- 16- **Dictionnaire philosophique** ,editions du progres, moscou ;1985
- 17- Gilbert hottoisetjean-noëlmissa, nouvelle encyclopédie de **bioethique**, deboeckuniversité ;2009
- 18- Guy Durand ; **introduction generale a la bioethique** ; bibliotheque nationale du quebec ;2005